

## تغيّر أدوار النساء في سوريا بسبب الأزمة

زين الحدّاد

لقد كان لأهمية النّساء بصفتهم مؤرّعات ومستقبلات أثر حيوي في تنفيذ المساعدات الإنسانية، لكنّ ذلك الأمر أيضاً يشير إلى ازدهار آلية جديدة من العلاقات الاجتماعية التي نشأت نتيجة الاضطرابات التي تمخضت عن الحرب.

يعم في سوريا همٌّ يؤرق البال منذ مدة طويلة يتعلق وكبار السن في الأسرة. والأمر نفسه ينطبق على النساء بندرة الحضور الفعلي للمنظمات غير الحكومية داخل البلاد. وساهم هذا الواقع في تولي المنظمات المحلية وشبكات المدنيين لمقدار لا يُستهان به من الاستجابة الإنسانية. ونظراً للحاجة المحضة، أصبحت النّساء السوريات مشاركات نشطات في العملية ما أدى إلى نقلة في أدوارهنّ الاجتماعية ليصبحن عاملات من عوامل التغيير.

المهارات التي يمتلكها.

وفي الداخل السوري، اضطر كثير من الأطفال إلى ترك المدرسة لسنتين أو ثلاث سنوات. وباستخدام نموذج يتركز على تعليم الأم لطفلها، يُقدّم التدريب الآن لتجهيز الأمهات بالأساليب اللازمة لتشجيع أطفالهن على التعلم إذا ما كنّ يقضين معظم أوقاتهم في البيت. وأصبح هناك كثير من النساء الريفيات أو النازحات من المجتمعات متدنية الدخل الأميات أو اللواتي لم يجتزن أكثر من المرحلة التعليمية الأساسية. يستفدن من الدعم التعليمي المقدم للنساء استجابة للأزمة. ومن خلال تمكين الأمهات في تعزيز مهاراتهن التعليمية والمشاركة بنشاط في تعليم أطفالهن، يستمر نماء الأطفال الذين لولا مثل تلك المبادرات لكانوا افتقروا إلى أي بنية من بنى دعم التعلم.

لكنّ الجهل المستشري بين النساء يتجاوز قضية الأمية في القراءة والكتابة، بل إنهن غير مدركات للمحاذير الصحية والنظافة الشخصية الأساسية التي يجب الانتباه لها في ظل تردّي الظروف المعيشية، رغم أهمية ذلك في ضمان المحافظة على صحتهن وصحة أطفالهن. وقبل تصاعد وتيرة النزاع، كانت تلك النّساء قادرات على الاعتماد على المنظومة الصحية التي كان الوصول إليها متاحاً في كل مكان ومجاناً. لكنّ الوضع الآن مختلف، فالقطاع الصحي في سوريا شبه منهار ويعني ذلك فقدان رابط حيوي مهم في حياتهن. وتسعى المنظمات المحلية إلى ردم هذه الفجوة عن طريق توفير الخدمات المباشرة في المستوصفات والمرافق الصحية بالإضافة إلى ضمان تثقيف النّساء بالأمور الأساسية في النظافة الشخصية والمخاطر التي يمكن أن يتعرضن وأسرهن إليها وتوافر المساعدة الصحية من قبل مختصين في هذا المجال.

”كانت حياتنا [في السابق] من النوع الذي يمكن التنبؤ به. كنا جميعاً نعرف بداية قصتنا ومنتصفها ونهايتها ثم جاءت هذه الأزمة وقلبت كل شيء رأساً على عقب. لم يعد من الممكن أن أعود لأفعل ما كنت افعل من قبل. لم يعد من الممكن لي أن أكون مجرد امرأة وديعة وعادية“. هذا ما قالته امرأة تبلغ من العمر أربعين عاماً وتعمل مترجمة ومحاضرة في اللغة الإنجليزية وهي الآن مسؤولة عن توزيع مساعدات الطوارئ لنحو عشرة آلاف أسرة في الشهر في مدينة حلب. ”أنا الآن أعرف حلب والحليبيين أكثر من أي وقت مضى. فهذا التفاعل الذي لا مفر منه مع الناس ما كنت لأحظى به من قبل وقد غيّر نظرتي المستقبلية بالكامل“.

وفي المناطق المحاصرة، تخاطر النّساء بأنفسهن على الدوام للمساعدة في تهريب الأدوية أو الغذاء عبر حواجز السيطرة نظراً لأنهن قادرات على المرور دون تعرضهن للتفتيش من قبل السلطات في بعض الأحيان مع أنّ العقوبة ستكون مغلظة عليهن إذا ما اكتُشف أمرهن. وأصبحت النّساء أيضاً خط تزويد حيوي في هذه الأوضاع بل أصبحت مشاركتهن حاسمة في بقاء غيرهن من المدنيين على قيد الحياة.

والغالبية العظمى من السوريين المحتاجين الذين يبلغ عددهم تسعة ملايين نسمة هم من النّازحين، ودفع ذلك الواقع النّساء في تلك الأسر إلى التخلي عن أدوارهن الاجتماعية التقليدية ضمن الأسرة والبنى المجتمعية على حد سواء. فالنساء في المجتمعات الفقيرة ممن كانت أدوارهن مقيدة إلى حد ما في حدود البيت أصبحن في غالب الأحيان الوحيدات من البالغين والبالغات في الأسرة ولم يعد من مفر لهن في تولي شؤون تدبير أمورهن بأنفسهن وأموال الأطفال

سبتمبر/أيلول ٢٠١٤

جهود الإغاثة الإنسانية بشكل أو بآخر ينبغي أن يُتاح لهن المشاركة النشطة في أي محاولة محتملة لإعادة إطلاق عملية السلام. والتزامهن بالنجاة من الحرب بأسلوب نابع للعنف يجعلهن متميزات عن غيرهن من الناس بأنهن يمثّلن فئة تنادي وتدافع من أجل مجتمع دامج.

زرين الحدّاد [zerene.haddad@jrs.net](mailto:zerene.haddad@jrs.net) مسؤولة المناصرة والاتصال الإقليمية للهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين، منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. [www.jrsmena.org](http://www.jrsmena.org)

ومع أن تطور الأحداث قاد إلى نقلة في أدوار الجندر في المجتمع، فلم تكن تلك النقلة تغييراً جذرياً كاملاً. ففي المناطق الخاضعة لسيطرة القوى المحافظة، ما زال استقلال النساء مقيداً.

وباستثناء بعض الحالات، لم تحمل المرأة السلاح في النزاع ومع ذلك فقد تحمّلن ويلات الحرب جسدياً ونفسياً ومادياً. ولا يمكن إنكار أهمية دور المرأة في مقاومة منطق الحرب الذي يهدد حالياً باكتساح سوريا كلها. فالنساء اللواتي شاركن في

### التقرير متاح باللغة الإنجليزية فقط

الهدف الرئيسي للاستجابة الأوروبية المتمثل في احتواء الأزمة في البلدان المجاورة لسوريا وتعزيز الرقابة على حدود أوروبا. ويوصي التقرير بأن تُنفذ البلدان الأوروبية خطة شاملة للعمل من أجل اللاجئين في البلدان المجاورة لسوريا بحيث تتضمن تلك الخطة ثلاثة مكونات هي: البحث عن نظام يمنح الحماية المؤقتة الإقليمية، وتوسيع خيار إعادة التوطين وتأسيس مسارات قانونية أخرى للدخول إلى البلدان الأوروبية.

متاح على الإنترنت

<http://tinyurl.com/RSC-Syria-PolicyBriefing-2014>

الحماية المقدمة في أوروبا للاجئين من سوريا - خلاصة السياسات الصادرة عن مركز دراسات اللاجئين، سبتمبر/أيلول ٢٠١٤.

ينظر هذا التقرير في استجابة الدول الأوروبية لأزمة اللاجئين في المنطقة السورية. تقدّم المؤلفتان سينثيا أوتشارد وأندي ميلر لمحة عامة عن رد الفعل الأوروبي على وجه العموم وملخصات موجزة لاستجابات الدول المختارة (ألمانيا والسويد والنرويج وبلغاريا واليونان وإيطاليا) ودراسة حالة أكثر تفصيلاً للمملكة المتحدة.

في حين تتني المؤلفتان على الجهود الإنسانية المبذولة في مساعدة اللاجئين وإعادة التوطين المستمر، فهما تعتقدان بعدم استدامة